

التحديات التي تواجه الأساتذة في أقسام اللغة العربية وآدابها

د. صادق عسكري

التمهيد

للغة العربية وقضاياها جوانب عديدة يصعب تلخيصها في سطور. فلا بدّ من الإشارة في بداية الكلام إلى أنّ هذه الدراسة لا تركز على اللغة العربية والتحديات التي تواجهها أوتعاني من أجلها، فإنّها كثيرة ومتعدّدة. فالهدف من هذه السطور دراسة التحديات التي تواجه الأساتذة في أقسام اللغة العربية وآدابها في البلدان العربية وغير العربية.

ذلك لأنّ الدور الحاسم الذي يمثله الأساتذة في عمليّة التعليم لا يخفى على أحد. فالأستاذ ركن أساسي في عمليّة التعليم إلى جانب الأركان الأخرى المتمثلة في الطالب والمادّة والمنهج. ولعلني لم أخرج عن الصواب إذا جعلتُ الدور الذي يلعبه الأساتذة في عمليّة التعليم، أكثر بكثير من الدور الذي تلعبه الأركان الأخرى المذكورة أعلاه. وخاصّة إذا أخذنا بعين الاعتبار، أنّ المادّة والمنهج التعليميين المناسبين، ممّا يعود اختيارهما إلى الأساتذة أيضاً.

هذا وقد واجهت في مسيرة تعاملتي مع اللغة العربية؛ منذ أكثر من عشرين سنة؛ بدءاً من دراستي في فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة العلامة الطباطبائي بطهران كطالب في مرحلتي الليسانس والماجستير، ومروراً بدراستي في معهد الآداب الشرقيّة بجامعة القديس يوسف في بيروت، حيث كنتُ طالباً في مرحلة الدكتوراه، ووصولاً إلى مرحلة تعليم اللغة العربية وتدريسها في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان الإيرانية كعضو في الهيئة التعليميّة، واجهت أنّ هذا الدور الحاسم يكاد أن يصبح هزيباً يائساً في العقود الأخيرة، وذلك رغم التطوّر الذي حدث في المناهج التعليميّة الحديثة. وكلّ ذلك في رأيي يعود إلى أسباب وعوامل عديدة يمكن اعتبارها من أهمّ التحديات التي تواجه الأساتذة في أقسام اللغة العربية داخل البلدان العربية وخارجها. وهي:

1- تعدّد الأهداف في تعليم اللغة العربية وتناقضها أحياناً.

2- إهمال اللغة العربية الفصحى على حساب اللهجات العاميّة واللغات الأجنبيّة.

3- إغفال المناهج والتقنيّات الحديثة في التعليم الجامعي من جهة، وفي البحث العلمي من جهة أخرى.

4- فقدان اهتمام اللازم إلى تعليم الطلاب، لتكاثر الأعمال والوظائف الناتجة عن تولّي مسؤوليّات متعدّدة.

إنّ هذه المحاور الأربعة تشكّل الموضوعات الأساسيّة التي يتمّ طرحها ومعالجتها، في بحث علمي يتمّ بالموضوعيّة والمنهجية، مستمداً من تجربة غير قصيرة عشتها في طهران وبيروت وسمنان.

أ- تعدّد الأهداف في تعليم اللغة العربية وتناقضها أحياناً

لعلّ أولى التحدّيات التي يواجهها الأساتذة في تعليم اللغة العربيّة هي أن الهدف من تعليم اللغة متعدّدة تبعاً لتعدّد الأهواء والأذواق عند الأساتذة. فقد اختلف الأساتذة أنفسهم في تحديد الهدف لتعليم هذه اللغة العربيّة تبعاً لأبجهاثهم الفكرية والدينيّة والسياسيّة.

فهناك من يجعل اللغة العربيّة أداة لفهم القرآن الكريم والنصوص الدينيّة متناسياً ما لهذه اللغة من آداب واسعة وثقافة عظيمة منذ ما قبل الإسلام حتّى العصر الحديث وأتّما ذات تأثير بارز في الآداب العالميّة خاصّة في عصورها الذهبيّة التي بدأت في العصر العباسي بعد الامتزاج بالأدب الفارسي وتكرّرت العصر الحديث الذي بالنهضة الأدبيّة المتأثّرة بالآداب الأوروبيّة. فيرى هذا الفريق أنّ العربيّة الفصحى باقية لأنّ القرآن الكريم نزل باللغة العربيّة الفصيحة التي لا تعريبها شائبة. (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)⁽¹⁾. فدوامها بدوام القرآن (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَءَاخِرُهُ لَحَافِظُونَ)⁽²⁾. فإذا تمّ ربط العربيّة حقّاً بالقرآن الكريم، فاللغة العربيّة لن تموت أبد الدهر. مع ذلك يتساءل حسام الخطيب قائلاً: "ألا ينبغي أن نقدّم للغة العربيّة الشريفة والرافلة بمخزون ديني وأدبي، مقومات تحفظ لها فاعليّتها وتبقيها في مصافّ اللغات الحيّة الفاعلة في مجال صراع الحضارات أو حوارها، وكذلك أن نحرص على إبقائها في تعاملنا اليومي وفي صدارة اللغات الحيّة؟"⁽³⁾

فبناء على هذا السؤال نجد في مقابل هؤلاء، فريقاً آخر ينظر إلى اللغة العربيّة كلغة حيّة يجب أن نقدّم لها مقومات تحفظ لها فاعليّتها في مصافّ اللغات الحيّة الفاعلة في مجال صراع الحضارات أو حوارها، وإبقائها في واجهة تعاملنا اليومي وفي صدارة اللغات الحيّة بدلاً من أن نعرضها لخطر المصير الذي آلت إليه لغات كانت لها عظمتها في سالف الأيام مثل اليونانية واللاتينية والفهلويّة، وأصبحت اليوم قابعة تحت قباب الكنائس والمعابد، أو في أقبية التخصص التاريخي.

ولعلنا نستطيع أن نجعل هذه الآراء المتعارضة ضمن إطار التعارض بين الأهداف القديمة والحديثة في تعليم اللغة العربيّة كتعارض الأدباء والشعراء في المدارس الأدبيّة الحديثة ومهمّاتها ووظائفها وأبجهاثها. فإذا كان الأدب القديم ينتزع في معظمه نزعة ذاتيّة لأبجهاهه نحو مصالحه الشخصية أو القبليّة أو الحزبيّة من خلال المدح والفخر والهجو، فإنّ الأدب الحديث وبعد الازدهار الناتج عن النهضة الأدبيّة الحديثة، كان ينتزع نزعة غيريّة لأبجهااته الشعبيّة والوطنية والقوميّة والإنسانيّة.⁽⁴⁾

فنتجت عن هذه النزعة الشعبيّة والإنسانيّة الحديثة، ضرورة الاهتمام باللغة العربيّة كأداة هامّة في عصر العولمة

¹ - القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية 28.

² - القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية 9.

³ - حسام الخطيب، اللغة العربيّة... تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، www.aljazeera.net، 22/12/2011

⁴ - لمزيد من التفاصيل أنظر: شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص 48-57؛ شلتاغ عبّود شراد، تطوّر الشعر

العربي الحديث، ص 111-116.

وانفجار المعلومات، لما لها من موروث لغوي وأدبي هائل إلى جانب الموروث الفكري والثقافي والديني.

ولعلنا نستطيع أن نؤلف بين هذه الآراء المتعددة أو المتناقضة أحياناً من خلال الالتزام بالهدفين جنباً إلى جنب، دون الشعور بالتناقض بينهما. ذلك لأنّ القرآن الكريم والحديث النبوي يمثلان الجذور الدينية للغة العربية، التي تحافظ على بقائها كلغة مقدّسة عند أكثر من مليار مسلم في العالم. كما أنّ اعتبار اللغة العربية لغة علمية حيّة لها تراثها اللغوي والثقافي والأدبي، يجعلها ضمن الآداب العالمية في عصر العولمة.

فخلاصة القول في هذا المجال أنّ على الأساتذة في أقسام اللغة العربية في الجامعات والمفكرين القائمين على البرامج الدراسية في الجامعات، المحاولة من أجل تقارب هذه الأهداف المتعددة والمتناقضة أحياناً بغية تألفها وتعيين الأولويات من تعليم اللغة العربية وآدابها.

ب- إهمال العربية الفصحى على حساب اللهجات العامية واللغات الأجنبية

ازدادت المخاوف عند المهتمين باللغة العربية عندما شعروا بأنّ هناك مزاحمة فاعلة وقوية للعربية الفصحى على صعيدين؛ أحدهما العاميات المنتشرة في البلاد العربية تعصباً على الفصحى أو إخفاءً للضعف فيها، وثانيهما اللغات الأجنبية التي تتردّد على ألسنة أبنائها فخراً وحماسة للغة الأجنبية. وفيما يلي عرض موجز لأهمّ التحديات التي يواجهها أساتذة اللغة العربية وآدابها، إزاء انتشار العامية واللغات الأجنبية.

1- لعلّ من أهمّ التحديات التي تعاني منها العربية الفصحى هي عزلتها عن الاستعمال العام، حيث حلّت اللهجات العامية محلّها. ونتج عن ذلك ظهور مجموعة كبيرة من اللهجات المحلية التي تختلف من بلد لآخر. "فإذا كان عدد البلاد العربية اثنتين وعشرين دولة، وهي مجموع الأعضاء في جامعة الدول العربية، فإنّ لدينا اثنتين وعشرين لهجة عامة، تتفرّع عنها لهجات بلدية تميّز كلّ منها عن الأخرى ببعض الخواصّ الصوتية"⁽¹⁾.

هذا وقد وصل التوسّل إلى العامية وكثرة انتشار اللهجات المحلية في البلدان العربية إلى حدّ يمكن القول بأنّ الطلبة حينما يدخلون المدارس لتعلّم العربية، كأهمّ بدأوا تعلّم لغة جديدة، فيبدأون أحياناً بتعلّمها من البداية، كأهمّ لا يعرفون عن هذه اللغة شيئاً، وكأنّ العربية ليست لغتهم الأمّ.

وأخطر من ذلك تأثيراً استخدام أساتذة الجامعات في فرع الآداب للعامية واللهجات المحلية، مع أنّنا لا ننكر وجود عدد من الأساتذة الذين يحترمون اللغة الفصحى، ويلتزمون بأدائها في محاضراتهم، لكننا نجد في المقابل كثيراً من الأساتذة يدرّسون اللغة العربية بالعامية مستخدمين اللهجات الدارجة في مخاطبة الطلبة.

فإذا كانت هذه هي الحال في كليات الآداب، فإنّ الحال أسوأ في سائر الكليات التي تتخصّص في الفنون والعلوم المختلفة. وهذا ما جعل عبد الصبور شاهين أن يقول: "إنّ جماهير الأساتذة في علوم الهندسة والطب والحقوق والعلوم والزراعة والتربية والفنون التشكيلية... إلخ، هؤلاء جميعاً لا يعرفون شيئاً من قواعد العربية

¹ - عبد الصبور شاهين، التحديات التي تواجه اللغة العربية، www.isesco.org 22/12/90.

الفصحى، وممارسة الحديث بها. فأما الأعلام والخطابات الجماهيرية، فقد أخلصت ولاءها للعامة، وخاصمت الفصحى. هذا تصوير للوضع الذي تواجهه الفصحى في أوطانها العربية، فهي لا تجد خطواتها مكاناً يسعها".⁽¹⁾

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ مشكلة اللغة موجودة في كلّ البلدان. ولكنّ العربية قد تعاني أكثر من غيرها لأنّها ليست محكيّة. وحتىّ بعض الأساتذة والمثقفين لا يجيدونها. بينما اللغة العربية وأسهل بكثير من الألمانية على سبيل المثال، وأنّ التراث العربي زاخر بالنصوص التي تفتن القارئ وتجعله من عشاق العربية.

والعامة كما يعرف الجميع لينة لا يبذل المتكلم فيها جهداً يذكر، وإنما ينطلق بها لسانه وتسبق على ملكاته اللغوية فيستعملها عفو الخاطر دون أن يشعر أنّه يخالف قواعد اللغة أو يخطئ فيها، ولأنّ طبيعة الإنسان تكره التحديد وتنفر من الانضباط الذي يوجّه اللغة المقننة، فإنّ مدرّسي التعليم العام والجامعي على حدّ سواء يهربون من قيود الفصحى وقوانين النحو فيجدون في العامية مندوحة تعوض النقص الذي يشعرون به هؤلاء. فأنحاز هؤلاء إلى العامية هرباً من وصمة الجهل بقواعد العربية الفصحى وعدم إحسانهم لها، مع أنّهم محسوبون من المثقفين الذين يفترض أن يجيدوا لغة أمّتهم، وهم بذلك يجدون في العامية بلا شكّ مخرجاً من المواقف الحرجة التي لا يرضونها لأنفسهم.⁽²⁾

فيجب أن تكون لغة التدريس في المدارس العامة ومؤسسات التعليم العام والجامعات العربية باللغة العربية التي يرجى أن يبدع أبناءها بها، فاليابان تدرّس العلوم كلّها بلغتها مع ما في اللغة اليابانية من بعد وصعوبة على الحسن الغربي، وكلّنا يعرف قدرة اليابان ونجاحها في الجانب العلمي، وفي الطرف الآخر نرى تركيا وقد تخلّت عن أجدية لغتها ودرست أجدية الغرب ونحن نعرف الفارق بين اليابان وتركيا وهو ما لا يخفى على أحد. وكذلك إسرائيل التي أحييت العربية وجعلتها لغة التعليم والحياة مع قرب إسرائيل من حضارة الغرب وثقافته ولغته واتّصالها به وعلاقتها معه، ومع ذلك لم تختار لغة من لغات الغرب للتدريس في مدارسها وجامعاتها مع صلتها بهذه اللغات وأهميتها لها، ومع موت العربية وانتهاؤها من الاستعمال المعاصر منذ آلاف السنين، فقد أصرت على إحيائها لتمييز شخصيتها وهويتها واعتزازها بمكوّنات الذات الفاعلة بلغتها الخاصة التي تمثّل هويتها وتحقق شخصيتها وتميّزها عن غيرها من اللغات والشعوب.⁽³⁾

اللغة العربية كما هو واقعها لغة ذات رسالة دينية وحضارية، إلا أنّ طبيعة أمة لغة توجب استمرار الرعاية الدائمة فهي كالشجرة الوارفة التي تنتشر أغصانها وتتسع بجانبها، وإذا لم تُقطع هذه الأغصان يضعف قوامها كلّما قويت الأعشاب الحبيطة بها. وتلك أقرب صفة تمثّل حال العربية الفصحى والعامية أصدق تمثّل. لأنّ اللهجات

¹ - عبد الصبور شاهين، التحدّيات التي تواجه اللغة العربية، www.isesco.org 22/12/90.

² - مرزوق بن صنيّتان، الفصحى ونظرية الفكر العامي، ص 96.

³ - مرزوق بن صنيّتان، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، ص 115.

العامية تبدأ بجانب الفصحى وتعيش في كنفها، ثم تأخذ بالانحراف عنها والإحاطة بها حتى تحول دون سهولة الوصول إليها.

أمّا أن يكون في اللغة العربية عامية وفصحى فلا خلاف في ذلك، وفي كلّ لغة من اللغات توجد ثنائية الفصحى والعامية، توجد الفصحى وتمتدّ امتداد الدولة أو الشعب الذي يتكلّم اللغة العربية، وتوجد العاميات خطوطاً متقاطعة في مناطق محدودة وفي مساحات ممتدّة، لا أظنّ أحداً ينكرها، وإنما المنكر أن يجعل وضع اللغة العربية الفصحى وصلتها بعاميتها وضعاً مختلفاً عن كلّ فصحى وعامية في العالم، وكأنّه لا توجد لغة فصحى وعامية إلاّ في الوطن العربي وفي العربية.⁽¹⁾

لقد استمرّ طغيان اللهجات العامية على اللسان العربي الفصيح على الرغم من كثرة المدارس والجامعات ووفرة خريجها، فالعامية منتشرة انتشاراً واسعاً، وقائمة على كلّ لسان، يتحدث بها الخاصة قبل العامة، والأساتذة قبل الطلبة، والمتعلّمون قبل غيرهم، ولا شكّ في أنّ استعمال العامية دون حرج يضعف ملكة اللسان ويقع في ازدواج كبير بين العامية التي تأتي على لسانه طوعاً والفصحى التي يجب أن تكون لغة التدريس.⁽²⁾

فالشارع والبيت استولت عليهما العامية منذ قرون وبقي للفصحى التعليم ومجاله الرحيب إلى أن "جاءت المناهج الحديثة بشموليّة التعليم وجزّأته إلى مراحل وتخصّصات لا يشبه بعضها بعضاً فحصرت اللغة العربية في مجال ضيق وأقسام محدودة سمّيت باسم أقسام اللغة العربية وجاءت الأقسام والتخصّصات في العلوم الإنسانية والطبيعية فأعفتها من استعمال اللغة العربية الفصحى، امتدّت العامية إلى التعليم، بل إنّ هناك ما هو أسوأ من ذلك؛ وقد أصبحت لغة التعليم في بعض الجامعات العربية مقسّمة إلى لغتين ليست اللغة العربية واحدة منها.

هكذا أصبحت لغة التعليم في الجامعات والمدارس العربية منقسّمة إلى العامية أو إلى لغات أجنبية، وكلّ نصيب الفصحى هو الحدّ الأدنى من القراءة عندما يضطرّ الطالب أو مدرّسه إلى العودة إلى النصّ المكتوب. أمّا إذا وضع المدرّس أو الطالب الكتاب من يده فإنّ لغته سرعان ما تعود إلى العامية والعجمة. واللسان الذي يركن إلى العامية ويتحدّث بها ويملاً وجدانه بمفرداتها وجملها وتراكيبها وأشعارها وأمثالها وثقافتها أنّى يكون له بعد ذلك نصيب من اللّغة الفصحى".⁽³⁾

2- وبعد اللهجة العامية تأتي هيمنة اللغة الإنكليزية على لغات العالم، في المرتبة الثانية من قائمة التحديّات التي يواجهها أساتذة اللغة العربية. ولا شكّ في أنّ للحديث عن اللغة الإنكليزية ومدّها وانتشارها، أبعاد ثقافية ومعرفية

¹ - المصدر نفسه، ص 84.

² - سامي سويدان، المناهج الجديدة لتعلّم العربية، ص 79؛ مصطفى الجوزو، مناهج اللغة العربية وآدابها، ص 87، 88.

³ - مرزوق بن صنيّان، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، ص 95.

ولغوية حادة، فضلاً عن أبعادها السياسية والاقتصادية والفكرية التي أخذت حيزاً واسعاً من حياة الشعوب المعاصرة وليست الشعوب العربية وحدها، إلا أن ما يجب الاهتمام به هو ما يخص العرب منها، لأنها أصبحت هي الوعاء الثقافي الذي تصب فيه المعلومات المعاصرة. لهذا السبب سنتناول أثر اللغة الإنكليزية على اللغة العربية بوصف اللغة الإنكليزية لغة القوي القادر ومن طبيعة الأشياء أن يؤثر القوي على من هو دونه بالقوة والغلبة.

فقد حدث تراجع واضح بشأن العربية لصالح تعليم الإنكليزية في جميع المستويات التعليمية. وفي معظم الجامعات العربية جرى تعليق المقررات المتعلقة باللغة العربية والانتماء العربي وأصبح دخول معظم جامعات الخليج العربي مشروطاً بالنجاح في امتحان "التايفيل" (Tofel) بل إن طلبات التدريس في تلك الجامعات تقدم بالإنكليزية، بما في ذلك كلية الشريعة وقسم اللغة العربية.⁽¹⁾

وتشير إحصاءات اليونسكو حول انتشار اللغات العالمية اليوم إلى تفوق شامل للغة الإنكليزية فهي لغة العلم ولغة الطيران ولغة العسكر ولغة التجارة والصناعة ولغة الطب والمواصلات والاتصالات، ولغة الحاسوبية والمعلوماتية ولغة الفضاء والبحث العلمي، واللغة الرئيسية في مختلف المنظمات الدولية.

ولقد أدرك المستعمرون أن حريهم ضد العرب والإسلام يجب أن تعتمد على محاربة اللغة العربية، وإحياء اللغات القومية، سعياً إلى تقليص وجود القرآن، وتهميش عقيدته. ولقد تحقّق لهم ما خططوا له، فارتدت أغلبية الشعوب الإسلامية إلى أحلامها القومية، وانتشرت فيها لغات المستعمرين، كالإنكليزية والفرنسية وتوارت العربية وضعف شأنها تبعاً لضعف شأن العرب في أقطارهم.⁽²⁾ بل إن العرب أنفسهم قد تخلّوا عن لغتهم، وعزلوها عن موضوعات الحضارة، واستخدموا كالإنكليزية والفرنسية بدلاً منها، ولاسيما في المجالات العلمية كالطب والهندسة والعلوم والرياضيات. فاغتربت العربية في أوطانها، حتى صار التعليم، من أول مراحل استخدام الإنكليزية.

إن المطلوب هو إنقاذ المؤسسة التعليمية من غزو اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية الأخرى على حساب اللغة العربية، ابتداءً من المدارس الابتدائية وانتهاءً بالمرحلة الجامعية والتخصصية. ومن عجائب الدنيا أن بعض الجامعات الخليجية لا تقبل الطلبات المتقدمة لتدريس اللغة العربية والشريعة إلا باللغة الإنكليزية، وتكاد نصف المقررات في بعض أقسام الشريعة واللغة العربية تدرس بالإنكليزية مباشرة في هذه الجامعات والحبل على الجرار.⁽³⁾

مما دفع منظّمة اليونسكو إلى التعبير عن قلقها لما تتعرض له اللغة الفصحى من تهميش وإقصاء، وقد نبّهت في تقريرها إلى ما تراه من أثر على مستقبل اللغة فقالت: "إنّ البلاد العربية تعاني من أزمة في الهوية نتيجة للمتغيّرات التي طرأت في التركيبة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة العربيّة، وقد وضعت برامج عديدة

¹ - حسام الخطيب، اللغة العربية... تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، www.aljazeera.net، 22/12/2011

² - رمون طحان ودينز بيطار طحان، اللغة العربية وتحديات العصر، ص 34.

³ - حسام الخطيب، اللغة العربية... تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، www.aljazeera.net، 22/12/2011

للمحافظة على اللغة العربية كهوية للأمة العربية بالإضافة إلى الهوية الوطنية والدينية. لكنّ التحديات كانت كثيرة ممّا جعل اللهجات العامية هي المسيطرة على الفصحى التي سوف تصبح مثل اللغة اللاتينية يوماً ما إذا استمرت الحال على هذا الوضع المؤلم⁽¹⁾.

لا شك أنّ تعلّم اللغة الأجنبية كلغة ثانية في غاية الأهمية ويجب أن يكون تعلّمها في الجامعة لازماً إلاّ أنّه لا يجب أن تكون لغة التعليم لأنّ ذلك سيحدث انفصاماً ثقافياً بين مجتمع الجامعة وخريجها. والذي أرى هو أن يبقى التدريس باللغة العربية، وأن تضع بعض المؤسسات التعليمية برنامجاً موازياً ومكتفياً باللغة الإنكليزية، هذا البرنامج يُمكن الخريجين من الاطلاع على العلوم الضرورية في اللغة الإنكليزية ويساعدهم على الاتّصال بمصادر المعلومات ويحقّق ما تهدف إلى تحقيقه⁽²⁾.

أوكد على أنّ هناك فارقاً كبيراً بين شيئين : الأوّل تعلّم اللغة الأجنبية وأهميته التي لا نختلف عليها. والثاني جعل اللغة الأجنبية لغة التدريس في المدارس والجامعات. تعلّم لغة أجنبية ضرورة بل يصل إلى مرحلة الوجوب، واللغة الإنكليزية من أهمّ ما يجب تعلّمه الآن في جامعاتنا، إلاّ أن تدريس العلوم في المدارس والجامعات العربية بلغة أجنبية - مهما كانت - أمر مختلف كل الاختلاف عن تعلّم اللغة الأجنبية وإجادتها والاستفادة من مكتسباتها.

أمّا الخيار الصحيح للعربية وثقافتها فهو خيار الموازاة والانطلاق. فالثقافة العربية تستطيع بلغتها الموازاة والسير إلى الأمام وهي قادرة على الأخذ والعطاء كغيرها من الثقافات المتينة والحضارات السامقة.

3- إلى جانب ما ذكرنا في المحورين السابقين عن تحدي اللهجات العامية واللغات الأجنبية للعربية، لابدّ من الإشارة إلى أنّ صعوبة اللغة العربية الفصحى تعدّ تحدياً آخر للأساتذة والمهتمين باللغة العربية. ممّا أدّى إلى محاولات في تيسير اللغة العربية وتسهيلها من قبل إبراهيم مصطفى وشوقي ضيف وتمام حسّان. فاللغة العربية لما فيها من اتّساع في المفردات والألفاظ المشتقة، ولما فيها من تشعب قواعدها صرفاً ونحواً وقراءة وواوإملاء وكتابة وتعبيراً، وكثرة الاستثناءات والشواذ، تدخل ضمن اللغات الصعبة في العالم.

فلهذا ورد في تقرير قادة مجموعة الثماني في مؤتمرهم الذي عقده في عام 2004م، تحت عنوان "تحديث اللغة العربية" ما نصّه: "إنّ عدم تطوير اللغة العربية وعدم تحرّرها من أشكالها القديمة التي ظلّت عليها منذ قرون، أدّى فعلياً إلى صعوبة كبرى في استيعاب أهل الحضارات والأديان الأخرى لهذه اللغة أو تعلّمها أو الاقتراب فكرياً ممّن يتحدّث بها"⁽³⁾.

¹ - مرزوق بن صنيان، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، ص 107.

² - سامي سويدان، المناهج الجديدة لتعلّم العربية، ص 78.

³ - مجلة الهلال المصرية العدد 152 ذو الحجة 1425هـ فبراير 2005.

وقد انتقد رمون طحّان وزميلته ديز بيطار طحّان في كتابهما اللغة العربيّة وتحديات العصر، الذين يفتخرون بصعوبة اللغة العربيّة ويجعلونها من جماليّات اللغة العربيّة، إذ يقولان: "يحسب البعض أنّ جمال اللغة يكمن في صعوبتها. إنّ العالم الحديث لا يعتبر اللغة كنفش أو كرمز عويص الحلّ، بل يعتبرها كأداة تعبير يجب أن تخلو من غريب الكلام وحوشيّه، ومن قواعد معقّدة يخرج أكثرها عن المألوف... هكذا نرى أنّ مصير اللغة العربيّة مثلاً منوط بأمرين: أمر تيسيرها وأمر تجديد تدريسها. ومن المؤكّد أنّنا نسدي للغة العربيّة خدمات جليلة عندما نجد مبادئ ثابتة لتيسيرها وطرقاً جديدة لتدريسها، وعندما نقضي على الخرافة الراسخة في العقول والمنتشرة بين الناس والتي تدّعي أنّ صعوبة العربيّة ناشئة ومنبثقة من نوعيتها. ويجب علي المثقّفين أن يبيّنوا بالأدلة القاطعة أنّ صعوبة العربيّة نتيجة حتميّة لعقم طرق دراستها وتدريسها."⁽¹⁾ فلماذا جرت محاولات لتيسير النحو، والانتقال من آلية حفظ القواعد إلى دينامية تشكيل السليقة اللغوية السليمة ولكّنها لم تلق ما تستحقّه من اهتمام أو من دور في تطوير مناهج تعليم اللغة العربيّة.⁽²⁾

ولعلّ أهم خطوة في تيسير اللغة العربيّة تكمن في الاجتناب من المناهج العقيمة للكتب القديمة، التي تؤدّي إلى اكتساب اللغة ببطء، كأنّ المتعلّم يبغى تعلّم اللغة مدى الحياة. في حين أنّ اللغة وسيلة وليست غاية بحدّ ذاته، فلذا يجب قطع مراحل تعلّمها بسرعة.⁽³⁾

فمن الضروري إعادة النظر في بعض القواعد التي لا تساير روح العربيّة المعاصرة، فمثلا في المستوى المعجميّ نستغي عن بعض الألفاظ الحوشيّة والغريبة التي تنقرض بفعل عدم توظيفها في وحدات المفاهيم والمادّيات المختلفة. فقد لاحظنا الاستغناء في فترة الحضارة الإسلاميّة المجيدة عن الألفاظ ذات المخارج الصعبة التي لاءمت مجتمع الجاهليّة، وعبرّت بصدق عن صعوبة الحياة والظرف الطبيعيّ، وعوّضت بألفاظ ذات السلاسة واللين حين جادت الحياة برغد العيش.

ومن الخطوات الأخرى التي يخطر ببالنا في عمليّة تيسير اللغة العربيّة، تقسيم فرع اللغة العربيّة وآدابها في الجامعات إلى عدّة فروع واختصاصات بهدف التسهيل والتحديث في تدريسها، كاختصاص اللغة والقواعد (الصرف والنحو)، واختصاص البلاغة، واختصاص الأدب بفرعيه القديم والحديث، اختصاص النقد الأدبي والأدب المقارن، واختصاص الترجمة من وإلى العربيّة.

فكلّ ما يواجه اللغة العربيّة من صعوبات في قواعدها وما يؤدّي إلى الابتعاد عنها، والمحاولات التي أجريت في سبيل تيسيرها وتحبيبها لتكون اللغة العربيّة لغة عالميّة حيّة، كلّ ذلك يتمّ معالجتها في اختصاص اللغة والقواعد.

¹ - رمون طحّان وديز بيطار طحّان، اللغة العربيّة وتحديات العصر، ص 73.

² - حسام الخطيب، اللغة العربيّة... تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، www.aljazeera.net، 22/12/2011

³ - رمون طحّان وديز بيطار طحّان، اللغة العربيّة وتحديات العصر، ص 95.

كما يشتمل اختصاص البلاغة على كلِّ ما يتعلّق بجماليّات اللغة وحقيقتها ومجازها كالمعاني والبيان والبديع والعروض. أمّا اختصاص الأدب فيتناول الآثار الأدبيّة نظماً ونثراً وكلِّ ما فيها من موروث فكري وثقافي وما فيها من مشاهير الأدب ونوابغ الفنّ قديماً وحديثاً ليثبت مكانة اللغة العربيّة في مواكبة الركب الحضاري الحديث في ظلّ الأُمّيّة والعولمة والكونية. ويعالج اختصاص النقد الأدبي والأدب المقارن الاتجاهات النقديّة القديمة والحديثة في الأدب العربي وما يقابلها من اتجاهات نقديّة في الآداب العالميّة الأخرى كالأدب الفارسي والأدب اليوناني قديماً والآداب الأوروبيّة حديثاً. وأخيراً وليس آخراً، اختصاص الترجمة الذي يتناول يأخذ على عاتقها نقل الآثار العلميّة والأدبيّة من وإلى اللغة العربيّة، إلى جانب دراسة مدى توفيق الترجمات في نقل الأفكار والثقافات والعواطف من وإلى اللغة العربيّة أيضاً.

فلا شكّ في أنّ هذه التقسيمات في علوم اللغة العربيّة وآدابها سوف تساهم كثيراً في رفع الصعوبات أمام الطلبة، لكون الموضوعات والموادّ الدراسيّة في كلِّ اختصاص أكثر جزئيّة ودقّة. فالطالب الذي يقرأ اليوم جميع هذه الاختصاصات في فرع اللغة العربيّة وآدابها، خلال أربع سنوات، لن يستطيع أن يتطلّع ويتخصّص في هذه الفروع المتشعبة، وهذا ما يؤدّي إلى ضعفه أولاً وإلى نفوره من فرع اللغة العربيّة وآدابها ثانياً وابتعاده واهماله لكلِّ ما للثقافة العربيّة من مفاخر ومحسّنات في عصورها الزاهية. ولا يخلو من الفائدة أن نتمثّل هنا بأبيات من خليل مطران في ضرورة التحديث والتجديد في اللغة العربيّة، إذ يقول:

لَنْ تَرْجِعَ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَى إِلَى	مَا كَانَ مِنْهَا فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
لِلْحَاهِلِيِّ لِسَانُهُ وَمَنْ الَّذِي	يَنْفِي مِنَ الْفُصْحَى لِسَانَ مُحْضَرِمٍ
إِنَّ التَّجَدُّدَ لِلْسَانَ حَيَاتُهُ	وَمَنْ الَّذِي يُجَيِّبُهُ غَيْرُ الْمُقْدَمِ ⁽¹⁾

ج- إهمال المناهج الحديثة في التعليم الجامعي وفي البحث العلمي

من التحدّيات الأخرى التي يواجهها الأساتذة في أقسام اللغة العربيّة وآدابها، إهمالهم للمناهج الجديدة والتقنيات الحديثة في تعليم اللغات وفي البحث العلمي المنهجي الذي ينتهي غالباً بالإتيان بالجديد في تعليم اللغة والأدب، ممّا أدّى إلى الضعف العلمي لدى الطالب والأساتذ على حدّ سواء. وفيما يلي تفصيل لأهم المظاهر الدالّة على هذا الضعف والإهمال.

1- إنّ بعض الأساتذة في أقسام اللغة العربيّة في الجامعات لم يتمكّنوا من المناهج الجديدة والاساليب المتطوّرة في تعليم اللغة العربيّة. فالتجارب والدراسات تؤكّد على أنّ تعليم اللغة العربيّة اليوم، لم يتطوّر على مستوى التحدّيات المعاصرة للغة العربيّة، ولم يرتفع إلى مستوى التحدّيات الحاليّة ولم يتطوّر بما يتناسب واحتياجات العصر ويتجاوب والدوافع الملحّة لإصلاح التعليم بوجه عامّ. كما أنّ الإعداد الأكاديمي والمهنيّ لمعلّمي اللغة العربيّة خاصّة في التعليم العامّ متدنّ للغاية، لعدم تأهيل المعلّمين تأهيلاً مهنيّاً لخدمة هذه اللغة، والاكتفاء بإعدادهم

¹ - خليل مطران، الديوان، ص 95.

تخصّصاً، وهذا الإعداد لا يتناسب مع مستوى التحدّي الذي يواجه اللغة حتّى إنّّه ينظر إلى المتحدّث بالفصحى أحياناً بشيء من الريبة وأحياناً بالاستخفاف. فلا بد من التغيير الجزري في التعليم عبر الالتزام بالمنهج المتطورة والمشوّقة وفي اتّخاذ التقنيّات الحديثة لتعليم اللغة العربية.

ذلك لأنّ كلّ لغة يحرص أهلها على بقائها واستمرارها، يحتاجون كلّ حين إلى إصلاح ما يطرأ من ضعف أو نقص أو تقصير، ويتلمّسون أسباب ضعفها ويسعون بين فينة وأخرى في تطوير مناهجها ووسائل تعليمها وطرق تدريسها، فيستعملون أحدث التقنيّات في سبيل إيضاح غامضها وتقريب بعيدها إلى الأذهان ويرتقون إلى مكائنها التي يريدون أن تصل إليها.

2- قلة الاهتمام إلى استخدام الأدوات والتقنيّات السميّة- البصريّة في عمليّة تعليم اللغة. ذلك لأن الآلة إحدى الخواصّ التي تميّز الإنسان عن الحيوان، وقد لعبت دوراً هاماً في تطوّر المجتمع الإنساني. فلا شكّ في أنّ استخدام الأدوات السميّة - البصريّة تعدّ من الطرق الناجحة خاصّة في تعليم اللغات.⁽¹⁾

وعندي تجربتان بسيطتان قضيتها في بيروت وسمان، فالأولى عندما كنّا ندرس قصيدة المواكب لجبران خليل جبران، فابتكر الأستاذ بيثّ أغنية فيروز قبل تحليل القصيدة، ورأيت أنّ تلقّي الطلبة وخاصّة غير العرب منهم في تحليل تلك القصيدة كان أكثر عمقا ولذّة. والتجربة الثانية قضيتها في سمان أثناء تدريس مادّة الصحف والمجلاّت العربيّة، فقد رأينا أن نترك الأسلوب التقليدي في تدريس هذه المادّة عبر قراءة بعض الصفحات المستنسخة من الصحف والمجلاّت العربيّة القديمة التي قلّما نجدّها في إيران أو في سمان، فلماذا فضلنا أن نقرأ الصحف والمجلاّت العربيّة المنشورة في نفس اليوم عبر استخدام الإنترنت والشاشة التي تظهر صفحات ويب أمام الطلبة في الصف على قياس كبير (Video Perojector). فمثل هذه التجارب مع كونها سهلة وبسيطة وغير جديدة، لكنّها بلا شكّ أكثر تأثيراً من تدريس تلك المواد على الأسلوب التقليدي الجافّ.

3- ضعف المشاركة الشائبة بين الطالب والأستاذ في التعليم من جهة والتعامل الشائبي في الأبحاث الجماعيّة بين الأساتذة أنفسهم لرفع نواقصهم وارتفاع مقدرتهم العلميّة والتعليميّة.

وكان المعلّم مُرسِل الرسالة اللغويّة ومصدرها، ومحور الاهتمام في طرق التدريس التقليديّة والتلقينيّة، ويفترض كذلك بأنّ المعلّم في طريقة البثّ الأحادي أنّه كامل التعليم، ويكون المتعلّم مستقبلاً سلبيّاً للمعلومة، ولا يتاح له المشاركة فيها، ومنها كذلك الإلقائيّة التي تعتمد أسلوب المحاضرة،⁽²⁾ وهو ما يطلب من المتعلّم الحفظ وعدم الخروج عن أساليبه، يحفظ القواعد على شكل منظومات شعريّة وشروحات نظميّة وأمثلة بسيطة مفتعلة ومصطنعة. وعلى الجليل المتوارث لها إبداء واجب الولاء وحسن الانصياع لهذه القوانين، وهو ما ولّد بحقّ تمرّداً نتجرع ويلات من استغراب اللغة الفصيحة التي تلقّتها الأجيال في ظل مواجهة شرسة لتيّارات الغزو اللغوي من خلال عولمة إعلاميّة.

¹ - ريمون طحان ودينز بيطار طحان، اللغة العربيّة وتحديات العصر، ص 57.

² - دنيس تشابلد، علم النفس والمعلّم، ص 215.

أما المناهج الحديثة فتجعل المتعلم هو المعول عليه والمؤول إليه في عملية التعليم والذي يفترض فيه استخدام كل قدراته العقلية والحسية والحركية وتطبق عنده نظرية الاكتشاف، وهي من بين الطرق المركزة على المتعلم، حيث يعالج المعلومات اللغوية صوتياً وتركيبياً ومعجمياً وتحولها إلى نماذج ومنه يتوصل إلى المعلومات الجديدة التي تنقل إليه عن اللغة وأساليبها مستخدماً الاستقراء والاستنباط والاستدلال والتجريب، وما على مرسل الرسالة اللغوية إلا توفير سياق التواصل والمواقف المناسبة للاكتشاف.⁽¹⁾

4- ضعف الاهتمام إلى الإنتاج العلمي والإبداع والإتيان بمجديد عبر القيام بالأبحاث الفردية والجماعية لتحديث المعلومات والمناهج الدراسية، والاكتفاء بالمعلومات المترجمة والدخيلة وتقديمها إلى الطالب. فاللغة العربية اليوم بلا ذخيرة معرفية تعاني من النقل والترجمة.

ذلك لأن في غياب مراكز البحث، واقتصار نشاط أقسام اللغة العربية في الجامعات على الجهود التدريسية، ومحدودية الإمكانيات المتاحة لمجامع اللغة العربية، والنقص الفادح في الخدمة العلمية والتقنية للغة العربية، تواجه اللغة العربية عصر المعلومات كساع إلى الهيجا بغير سلاح. وليس في مقدور أي باحث فرد أن يتصدى للأسئلة المطروحة على النحو العلمي المطلوب، ولكن ربما كان في إثارة هذه الأمور بعض جدوى على الأقل من ناحية لفت النظر إلى الأعباء الضخمة التي ستواجه العربية في القرن الحالي، وهي بعد لما تتوصل إلى حلول ناجعة لأبسط المشكلات، كمشكلات تيسير النحو، وتيسير تدريس اللغة العربية، وتيسير تأليف المعجمات واستخدامها. أي أن اللغة العربية مازالت في مرحلة التيسير ولما تتجاوزها إلى مرحلة البناء والإعمار والابتكار.⁽²⁾

فلا بد لنا أن نقول بصراحة أنه إذا أردت اللغة العربية أن تواجه الحالة التي تعيشها، على المهتمين بها أن لا تكفي بالشرح دون أي فكر ولا إبداع ولا ابتكار. وعليهم أن يعرفوا أن اللغة مجرد أداة تواصل، ومن ليس لديه جديد يقوله فالأحرى به أن يسكت. الإفلاس الحقيقي للعربية، في رأي المتواضع، إفلاس في الابتكار والبحث والغوص في أعماق الوجود البديع. لأنه وببساطة، متى ما أملت خزانة التجربة جاد اللسان ببديع وصفها.

5- قلة الجهد والمثابرة في خدمة اللغة العربية التي تواجه تحديات صعبة ومتداخلة تحتاج معالجتها إلى عمل جاد وإلى بذل سخي، وإلى تضافر جهود المؤسسات والباحثين. "فالعربية لم تصل بعد إلى لغة العلم، وأصابها أهلها بالقصور لأنهم - وأقول بمرارة - أهل قصر وعجز".⁽³⁾ وفي تخفيف مرارة هذا العجز، يتطرق البعض إلى عظمة اللغة العربية وتفوقها وصلاحتها لأن تكون لغة العصر بل لغة العالم المعاصر. وغالباً ما يتم انتهاز أية فرصة للدفاع

¹ - محي الدين شعبان توق، دراسة فاعلية برنامج التعليم الذاتي بالمقارنة مع التعليم المادي، ص 57.

² - حسام الخطيب، اللغة العربية... تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، www.aljazeera.net، 22/12/2011.

³ - جريدة الرياض، العدد 8620 في 1412/7/26هـ.

عن حياض اللغة العربيّة، والتغنيّ بمحاسنها، واحتمال كونها أمّ اللغات ومصدرها الأصليّ.⁽¹⁾

إلا أننا لا نريد الخوض في مسألة قيمة اللغة العربيّة من ناحية كونها لغة ذات خصائص متميّزة تتمثّل في ثروة مفرداتها وجماليّة تعبيرها، أو من ناحية دورها التاريخيّ والحضاريّ القديم. فهذه أمور بديهية متفق عليها. لكنّ الكلام يدور هنا حول واقع استعمال اللغة العربيّة في المجتمع العربيّ المعاصر الذي يواجه تحديات صعبة، ولا مناص له من أن يجابهها بشجاعة وحكمة وتخطيط. فعندما تخطّط اليوم دول عريقة (مثل فرنسا وألمانيا) لحماية لغتها بأساليب جديدة، تستمرّ رؤية العرب سكونيّة مكرّرة رتيبة الإيقاع، لأنهم يكتفون بالتغنيّ والتمجيد ولا يقدّمون الخدمة الكافية العلميّة والعملية، والتربويّة والاجتماعيّة، والنفسيّة والإعلاميّة، لهذه اللغة العزيزة التي هي صورة ماضيهم ومرآة حاضرهم وأفق مستقبلهم.⁽²⁾

فلا بدّ من تضافر الجهود الرسميّة (الحكومات)، والعلميّة (الجامعات ومراكز البحوث ومجامع اللغة العربيّة)، إضافةً للمهتمين بشأن التعريب والثقافة والفنون، بهدف جعل لغة الضاد لغة العلم والثقافة والمعرفة. فاللغة العربيّة حالياً في حالة التراجع والانحسار وأرى أنّ السبب الرئيسيّ هو الإنسان العربيّ الذي مازال مستمراً في كسله وتثاقله. ولعلّ هذا الكسل والتثاقل هو الذي جعل أحد القراء أن يعلّق على مقالة "اللغة العربيّة.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة" لحسام الخطيب المنشورة في موقع الجزيرة للدراسات قائلاً: "لم أجد أحداً يحاكم لغته كما يحاكمها العرب. اللغة الصينيّة أصعب ألف مرّة وانظروا أين وصل الصينيون. نعيب لغتنا والعيب فينا... وليس للغتنا عيب سوانا"⁽³⁾

وفي ختام هذا المبحث نرجو ألاّ يستنتج من إشارتنا إلى حاجة اللغة العربيّة لمزيد من الخدمة العلميّة والتربويّة والإعلاميّة، أيّ انتقاص من الجهود المضنية التي يبذلها أساتذة اللغة العربيّة والمؤلّفون، والمؤسّسات والجامعات والمجامع اللغويّة في خدمة اللغة العربيّة.

د- فقدان الاهتمام اللازم إلى التعليم على حساب وظائف أخرى غير مرتبطة بالتعليم

إنّ ما قيل في الفقرات السابقة عن ضعف الأساتذة في القيام بما يجب عليهم في خدمة اللغة العربيّة، يزداد خطرها عندما نرى أنّ كثيراً منهم لا يهتمون باللغة العربيّة إلاّ من أجل لقمة العيش أو الوظيفة الحكوميّة، فلماذا نراهم يرغبون في تولّي مسؤوليّات متعدّدة قد لا ترتبط أحياناً أيّ ارتباط بتعليم اللغة العربيّة أو حتّى بمهنة التعليم. كتولّي المسؤوليّات السياسيّة أو الدينيّة أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة أو الإداريّة. ولا شكّ في أنّنا لا نقصد الوظائف العلميّة كإدارة الأقسام والمؤسّسات التعليميّة في المدارس والجامعات، أو الانضمام إلى هيئة التحرير في المجالات

¹ - محمّد التوجي، جماليّات اللغة العربيّة، ص 13-14.

² - حسام الخطيب، اللغة العربيّة... تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، www.aljazeera.net، 22/12/2011

³ - المصدر نفسه.

العلمية أو الاشتغال بالبحث والتأليف إلى جانب التعليم، إذ أنّها ضرورية أحياناً في كسب التجارب والمهارة من أجل التعليم والتدريس. بل المقصود كما هو الواضح من عنوان هذا المبحث هو الوظائف التي لا ترتبط بمهنة التعليم كتولي المناصب الحكومية أو إدارة مؤسسة اقتصادية أو رياضية وما إلى ذلك. ولعلّ القراء يعرفون مثلي بعض الأساتذة الذين يقضون معظم وقتهم من أجل القيام بأعمال لا ترتبط بالتعليم.

ولا بدّ أن تكون النتيجة في مثل هذه الحالات هو الابتلاء الأساتذة بالسطحية وفقدان التعمق في التدريس والتعليم البحث العلمي، وبالتالي عدم الجدوية والاعتماد على حفظ الدروس والاكتفاء بالملخصات الجزئية على حساب الفهم الكلي العميق وفي النهاية عدم الاهتمام بتقييم الطلبة وبذل العلامات العالية لهم في نهاية السنة إخفاء للضعف العلمي عند الأساتذة والطلبة. وولعلّ القارئ العزيز لا يعيبي إذا ضربت مثلاً عن التجربة التي عشت في طهران وبيروت عند الأستاذين الكبيرين؛ أحدهما الدكتور سعيد نجفي أسداللهي الذي تعلّمت عنده اللغة العربية في مرحلتي البكالوريوس والماجستير في جامعة العلامة الطباطبائي في طهران، والثاني البروفسور أهيف سنو الذي كان لي شرف الدراسة عنده في مرحلة الدكتوراه في معهد الآداب الشرقية بجامعة القديس يوسف في بيروت. فكلاهما مع كلّ ما يضمرون من محبة للغة العربية واحترام للطلبة المتعلمين عندهما، ومع كلّ ما يتمتّعان من مقدرة علمية عالية واهتمام بالغ بتعليم الطلبة، إلّا أنّهما يلتزمان بالدقة التامة في تقييم الطلبة وإعطائهم لكلّ طالب ما يستحقّه من علامة في نهاية الفصل، دون أدنى تساهل تجاه بعض المتكاسلين من الطلبة. وإنّي دائماً أذكر أستاذي بخير ومحبة عندما أعطاني درجة الثماني من العشرين في أول امتحان أدبته في مرحلة البكالوريوس، مع أنّ معظم الأجوبة كانت صحيحة إلّا أنّ الأستاذ لم يقبلها لأنّها كتبت بغير العربية. كما أشيد بالأستاذ الذي لم يعط درجة النجاح إلّا لثلاثة من طلبة الدكتوراه فقط من بين ما يقرب إلى عشرين طالب. ليس لأنّه يريد تعذيب الطالب أو إزعاجه، بل لأنّه يرى هذا الأسلوب إحدى الطرق في رفع المستوى العلمي عند الطلبة.

الخاتمة

اللغة العربية لا تملك في مواجهة التحديات التي تنذر بأخطار متعاطمة، سوى إحياء العربية على السنة أهلها أولاً، ثمّ نشر اللغة العربية وتراثه الأدبي والثقافي عن طريق إنشاء معاهد في أنحاء العالم. فالوصية الأولى والأخيرة هي أنّ يلتزم الأساتذة في مختلف المستويات بالتكلّم بالعربية الفصحى إلى جانب تشجيع الطلبة على المحادثة بها. وعدم التسامح في استعمال اللهجة العامية أو اللغات الأجنبية في التدريس حتّى لا تفقد اللغة العربية الفصحى مكانتها في نفوس أبنائها. والمطالبة الجادة بجعل لغة التدريس هي اللغة الفصحى في جميع مراحل الدراسة من الابتدائية حتّى الجامعة، فضلاً عن توجيه نداء للحكومات العربية بوجود المحافظة على الفصحى واتخاذها لغة المحادثات الرسمية في كلّ المجالات، وحميتها في منافسة اللغات الأجنبية.

كما لا بدّ من انتقاء المتميزين من المدرّسين والمبرزين منهم وتكليفهم بتدريس اللغة العربية وآدابها. والنظر في وضع مدرّسي اللغة العربية والاجتهاد بوضع المنهج الملائم الصالح لتعليم اللغات، والتركيز على تنمية قدرة الخطاب والتكلّم بالفصحى، واستظهار قدر صالح من آثار الفصحى من شعر ونثر حتّى يعين ذلك المدرّس على الاقتداء

بما يحفظ عندما يتحدّث إلى طلابه أو عندما يستعمل العربية للتدريس.

وأخيراً إذا أردنا أن تنهض اللغة العربية فعلينا أن نبحث عن قرار سياسي وتوجّه شعبي. وأول قرار يجب اتّخاذه هو قرار تعريب التعليم الجامعي وحماية اللغة من المنافسة غير العادلة مع اللغات الأجنبية أو الارتكان إلى اللغات العامية. أما متى يتخذ هذا القرار، فيتخذ إذا قام الأساتذة والمفكّرون وأهل الرأي بالمطالبة والإصرار وتقديم البدائل التي يتعلّل بعدم وجودها المتعلّلون، يجب أن تحريض الطلبة والشبان على أن تكون العربية الفصحى هي لغة الحياة والتعليم والخطاب الرسمي السياسي والشعبي.

ولا يخلو من الفائدة أن نختم كلامنا بأبيات من قصيدة حافظ إبراهيم في نعي اللغة العربية، رغم اعترافنا بأنّها مشهورة ومكرّرة عند القارئ العربي، لكننا نذكرها هنا مرّة أخرى لكونها تشمل فقرات هامة ممّا قيل عن التحديّات التي تواجه اللغة العربية، لنؤكّد على صدق تكهّن الشاعر قبل ما يقرب إلى مائة سنة، على أمل تحريض الهمم في خدمة اللغة العربية:

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي	رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَهَمْتُ حَصَاتِي
عَقَمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي	رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي
وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ	أَرَى لِرِجَالِ الْعَرَبِ عِزًّا وَمَنْعَةً
فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ	أَتُوا أَهْلَهُمْ بِالْمَعْجِزَاتِ تَفُنُّنًا
يُنَادِي بِوَادِي فِي رَيْعِ حَيَاتِي	أُطْرِقُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ نَاعِبٌ
مَنْ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةٍ	أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجِرَائِدِ مَزْلِقًا
فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي	وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرٍ ضَحَّةً
إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرِوَاةٍ	أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ قُرَاتِ	سَرَتْ لَوْنُهُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى
مُشَكَّلَةَ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ	فَجَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسِطِ شَكَاتِي	إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلًا
وَتُنِبْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي	فِيَّامَا حَيَاةٍ تَبَعْتُ الْمَيْتَ فِي الْبِلَى
مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسِّ بِمَمَاتِ ⁽¹⁾	وَأَمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ

قائمة المراجع:

1- إبراهيم حافظ، الديوان؛ شرح عزيز الشيخ، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأعلمي للطبوعات، 2001.

2- ألتونجي، محمد، جماليّات اللغة العربية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، 1997.

¹ - حافظ إبراهيم، الديوان، ص 106-107.

- 3- دنيش، تشابلد، علم النفس والمعلم، ترجمة عبد الحلیم محمود السید وآخرون، القاهرة : مؤسسه الهرم، 1983.
- 4- شراد، شلتاغ عبود، تطوّر الشعر العربيّ الحديث، الطبعة الأولى، عمّان (الأردن) : دار مجدلاوي للنشر، 1998.
- 5- ضيف، شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة الرابعة عشرة، القاهرة : دار المعارف، 2008.
- 6- طحّان، رمون، وبيطار طحّان، دنيز، اللغة العربيّة وتحديات العصر، الطبعة الثانية، بيروت : دار الكتاب اللبناني، 1984.
- 7- محي الدين، شعبان توق، دراسة فاعليّة برنامج التعليم الذاتي بالمقارنة مع التعليم المادّي، الأردن، الجامعة الأردنيّة، 1978.
- 8- مرزوق، بن صنيّتان، الفصحى ونظريّة الفكر العامي، الطبعة الأولى، الرياض : مطابع الفرزدق، 1988.
- 9- ، اللغة العربيّة في القرن الحادي والعشرين، محاضرة في قسم اللغة العربيّة بجامعة الملك سعود، الثلاثاء 17 أيار 2005م.
- 10- مطران، خليل، الديوان، الطبعة الأولى، بيروت : دار صادر، 1986.

- المجالات ومواقع الإنترنت:

- 11- الجوزو، مصطفى ، "مناهج اللغة العربيّة وآدابها"، مجلّة الآداب اللبنانيّة، العدد 6/5، أيار - حزيران 2001.
 - 12- الخطيب، حسام، اللغة العربيّة؛ تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، موقع الجزيرة للدراسات، 22/12/2011
- www.aljazeera.net
- 13- سويدان، سامي، "المناهج الجديدة لتعلّم العربيّة وآدابها في الجامعة اللبنانيّة: هجنة التحديث بين التحكّم الإداري والمحافظة المتزمتة"، مجلّة الآداب اللبنانيّة، العدد 6/5، أيار - حزيران 2001.
 - 14- شاهين، عبد الصبور، التحديات التي تواجه اللغة العربيّة، موقع المنظّمة الإسلاميّة للتربية والثقافة (آيسسكو)، 22/12/90،
- www.isesco.org
- 15- الفاتحي، عبد الفتّاح، اللغة العربيّة والتحديات الراهنة، موقع بلا فرنسيّة على الإنترنت، 22/12/2011
- www.belafancia.com